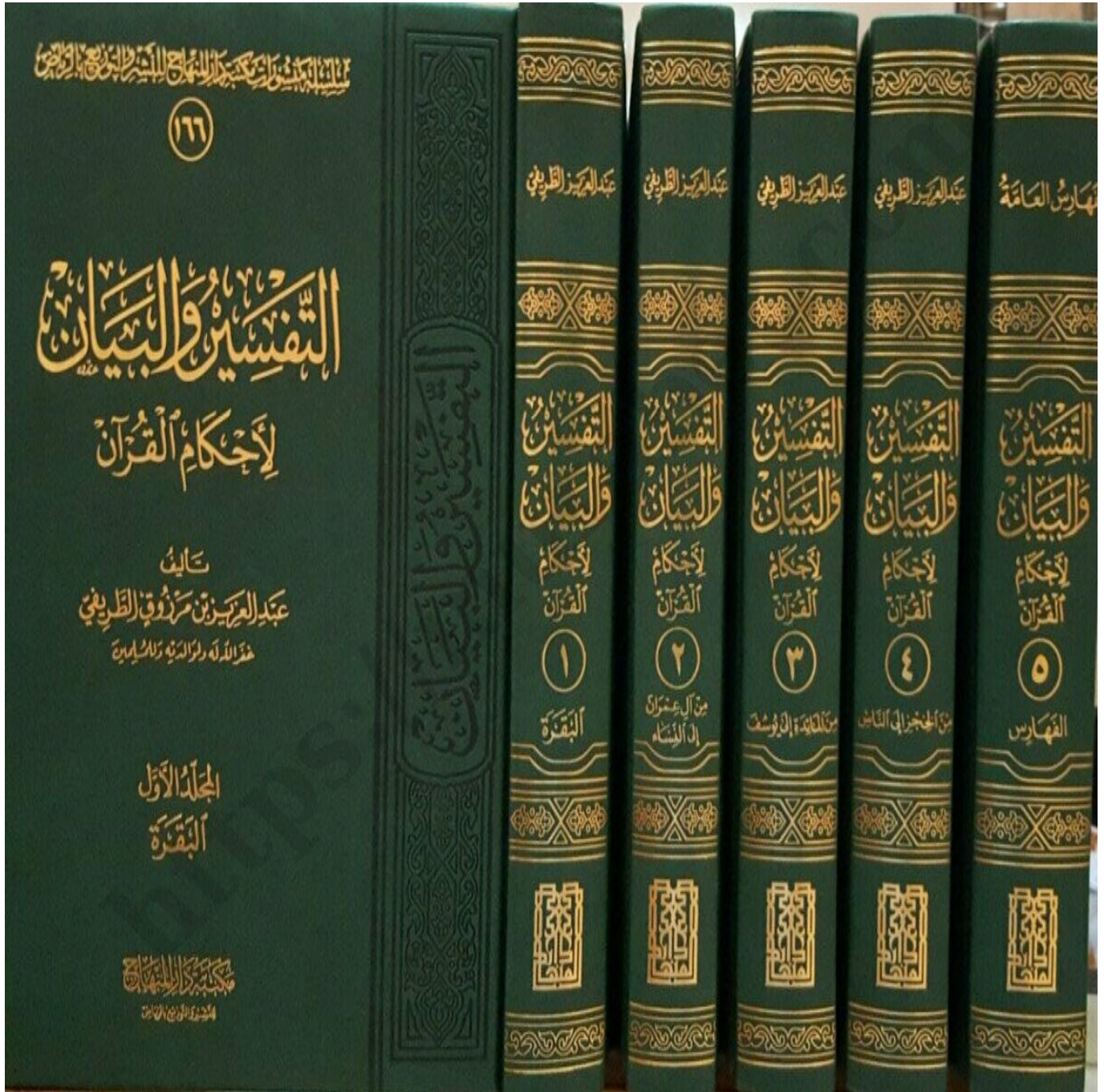


الحكمة من تأخير تحريم الربا

الكاتب: عبد العزيز الطريفي



قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٧٨].

الحكمة من تأخير تحريم الربا:

أخر الله نزول تحريم الربا؛ لتعلق الناس به، وشدة تمسكهم بأرزاقهم، فأجل نزول التحريم حتى يقوى إيمانهم؛ ليسهل عليهم التَّرك؛ فقد روى ابن جرير؛ من حديث سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب؛ قال: "أخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والريبة" (١).

وربما تأخر تحريم الشيء وهو عظيم؛ لأن تعلق الناس به أعظم، فيتأخر الحكم رفقاً بالأمة؛ لأن تخلف أولها عن الامتثال يورثها لآخرها، فهياً الله لدينه دوام الثبات والبقاء، ولأصحاب نبيه - صلى الله عليه وسلم - أسباب الامتثال وموجبات حسن الاقتداء، فسبب الربا فطرة الشح البشري وشدة الطمع، وفي هذا يقول تعالى: {وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ} [النساء: ١٢٨]، وقال: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} (١٩) {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: ١٩، ٢٠]، وقال: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: ٨]، فنزع شح النفوس وطمعها قبل تحريم الربا؛ بإيجاب الزكاة والحث على الصدقة والإحسان، ثم لما ضعف شح النفوس وطمعها، تهيأت لقبول تحريم الربا؛ فحرّمه الله.

وللربا أثر في الإيمان، وللإيمان القوي أثر في ترك المال الحرام، وشدة الطمع وقوة الإيمان لا يجتمعان؛ ولذا قال في الآية: {وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}؛ لأن شدة الطمع توجب أكل الحرام وترك الزكاة والنفقة.

وهذه الآية قيل: إنها نزلت في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة، كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى أناس من ثقيف، وهم بنو عمرو بن عمير، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت: {وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} (١).

فالأية دليل على الترخيص بأخذ ما تم قبضه من المال المقبوض في الربا قبل التوبة، وتحريم ما لم يقبض مما كان معلقاً؛ حلّ أو لم يحلّ؛ إذ لا يجوز قبض الحرام بعد العلم به ولو كان برضا الطرفين، فالرضا لا يحلّ الربا، كما لا يحلّ الزنى والرّشوة.

ومن تعاقّد بالربا مع صاحب ربا، فلا يجوز له قضاء الربا وسداؤه إلا بإعادة رأس ماله، ولو كان عند حاكم ظالم يحبسّه حتى يقضي رباّه، جاز له بنية الخلاص من الشرّ ودفع السوء، ولا يجوز قضاؤه إلا عند تحقّق السجن أو التهديد به من قادر عليه.

المصدر:

عبد العزيز الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، ص 547
الإشارات المرجعية:

- 1- تفسير الطبري (٥ / ٦٦).
- 2- تفسير الطبري (٥ / ٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٥٤٨).

الكلمات المفتاحية:

#الربا

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.